

الأكاديمية الأوروبية للتراث القبطي
The European Academy for Coptic Heritage
(TEACH)

قانون الإيمان في المعمودية القبطية هو الأقدم في كافة الكنائس

سؤال: قدسك ذكرت أن قانون الإيمان في بردية دير البلايزا هو أقدم من قانون الإيمان النيقاوي وأن قانون الإيمان الذي يُقال أثناء سر المعمودية هو قانون إيمان قديم جداً ولكنه ليس قانون الإيمان النيقاوي كما يمارس في الكنائس الأخرى. هل مازالت الكنيسة القبطية تردّد هذا القانون القديم أثناء سر المعمودية؟ أرجو التوضيح.

الإجابة: إن أقدم برديتين لليتورجية مار مرقس في نصّها اليوناني، كما كانت تمارسها الكنيسة القبطية، هما بردية ستراسبورج، وبردية دير البلايزا. وفيما يلي الحديث عنهما.

بردية ستراسبورج Strasbourg papyrus

تم اكتشافها في سنة ١٩٢٨م، وهي باللغة اليونانية على ورق البردي. وهي محفوظة في مكتبة جامعة ستراسبورج برقم (Gr 254)، وتشتمل على جانب من الجزء الأوّل من ليتورجية مار مرقس الرسول.

وقد استدلّ العلماء الذين فحصوا هذه البردية، على أن زمن كتابتها يرجع إلى النصف الأوّل من القرن الرابع الميلادي^(١). ويبدأ نص بردية ستراسبورج بالعبارة التالية: "... لأنه بالحقيقة مستحقّ وعادل أن نسبحك ونرتّل لك، ونباركك، ونخدمك ليلاً ونهاراً، ونشكرك أنت الذي خلقت السماء وكل ما فيها، والأرض وكل ما عليها ... إلخ"، حتى إلى القول: "أولئك الذين رقدوا نبيح نفوسهم. اذكر الذين قدّمنا تذكّارهم في هذا اليوم، والذين ذكرنا أسماءهم والذين لم نذكرهم ... هب لهم الآن بواسطة ربنا ومخلصنا الذي به المجد إلى الأبد". (وهنا ينتهي نص بردية ستراسبورج).

بردية دير البلايزا Balayza papyrus

تم اكتشافها في دير البلايزا بالقرب من أسبوت سنة ١٩٠٧م، وتعود إلى القرن السادس الميلادي، ومحفوظة في مكتبة بودليان بأكسفورد بإنجلترا تحت رقم Gr. Lit. d2-4 (P) وتحوي النصّ اليوناني لليتورجية القديس مرقس الرسول الذي يكمل نصّ بردية ستراسبورج السابق ذكرها. أمّا النصّ نفسه، فيرجع إلى القرن الثالث أو الرابع للميلاد على أقصى تقدير^(٢).

حيث يبدأ النصّ في هذه البردية هكذا: "... الذين يبغضونك. أمّا شعبك الذي يصنع إرادتك، فلتحل عليه بركتك. أقم السّاقطين، رُد الصّالين إلى طريق الحق، عزّ صغيري القلوب. لأنك أنت فوق كلّ رياسة وسلطان وقوّة وسيادة، وفوق كل اسم، ليس في هذا الدّهر فقط، بل وفي الدّهر الآتي أيضاً ... إلخ" حتى إلى القول: "الشّعب: بموتك ياربُ نبشّر وبقيامتك نعتزّ ... تفضّل علينا نحن عبيدك بقوة روح القدس، لتشدّد ونمو إيماننا، وليكون لنا رجاء الحياة الأبديّة، برّبنا يسوع المسيح، الذي لك معه يا أبانا، ومع الرّوح القدس، المجد إلى الأبد آمين".

ثمّ تورد بردية دير البلايزا عنواناً هو "الاعتراف بالإيمان". ثمّ تورد نصه وهو: "أؤمن بالله الآب ضابط الكل، وبابنه الوحيد يسوع المسيح، وبالرّوح القدس، وبقيامة الأحساد في الكنيسة المقدّسة الجامعة" (انتهى نص البردية).

وفي الطّمس القبطي الحالي يلقن الكاهن الموعوظ أو إشبين الطّفل قانون الإيمان قائلاً: "أؤمن بإله واحد، الله الآب ضابط

1- M. Andrieu & P. Collomp, *Fragments sur papyrus de l'anaphore de saint Marc*, in *Revue des Sciences Religieuses*, tome 8, fascicule 4, 1928, p. 489-515.

2- Robert, C.H., & Capelle, Dom B., *An Early Euchologium*, Louvain 1949.

الكل، وابنه الوحيد يسوع المسيح ربنا، والروح القدس المحيي، وقيامه الجسد، والكنيسة الواحدة الوحيدة المقدسة الجامعة الرّسوليّة آمين“.

ويورد ابن كبر في القرن الرابع عشر الميلادي نص قانون المعموديّة عند الأقباط، وهو (بنصّه): ”بالحقيقة او من باله واحد الله الاب ضابط الكل، ووحيده الوحيد يسوع المسيح، وروح القدس البارقليط. الثالوث المقدس المساوي، وقيامه الاجساد. وكنيسه واحده مقدسه جامعه رسوليّه امين.

ثم يسأله ثلاث دفعات امنت وهو يعترف قايلًا امنت“^(٣).

ثمّ تتبع نصّ قانون الإيمان الذي يُقال في المعموديّة القبطيّة، وذلك في مخطوطين بمكتبة دير القديس أنبا مقار وهما برقم (طقس ١٩٣) ويعود تاريخه إلى سنة ١٦٧٣م، وبرقم (طقس ١٩٢) ويعود تاريخه إلى القرن الثامن عشر الميلادي. فوجدته كما يذكر ابن كبر تقريباً مع اختلافات طفيفة لا تؤثر على المضمون الكلي.

هذه إجابة الجزء الأوّل من السؤال. أمّا الجزء الثاني من السؤال، فإجابته هي:

لم يستعمل مجمع نيقية المسكوني الأوّل سنة ٣٢٥م كلمة ”قانون“ لما وضعه من شرائع. إلاّ أنّ المجمع المسكوني الثاني في القسطنطينيّة سنة ٣٨١م، أطلق كلمة ”قوانين“ على ما سنّه مجمع نيقية المسكوني السّابق له.

ومن المقطوع به، أنه قبل منتصف القرن الثاني الميلادي، كان اعتراف المقبل على المعموديّة قد تبلور في صورة، قبلتها كلُّ الكنائس الكُبرى. فلدينا كتابات عن مضمون هذا الاعتراف في كتابات القديس إيريناؤس (١٣٠-٢٠٠م)^(٤)، والعلامة ترتليان (١٦٠-٢٢٥م)^(٥)، ونوفاتيان^(٦)، والعلامة أوريجانوس (١٨٥-٢٥٤م) وغيرهم، تبدو فيها وحدة الجوهر، مع قدر معيّن من الحرّيّة في التّعبير.

ففي الأوساط المسيحيّة ذات الأصول اليهوديّة، كان يكفي لطالب العماد أن يُعلن القانون الإيمان البسيط التّالي: ”يسوع هو المسيح“. أمّا بالنّسبة للمسيحيين من أصل أُمّي، فكان لزاماً على طالب العماد أن يُعلن حقيقة إيمانّيّة أكثر تفصيلاً، أي إيمان بالله الواحد المثلث الأقانيم، وإيمان بعمل المسيح الخلاصي^(٧).

وجدير بالذّكر هنا، أنّ الكنيسة القبطيّة حتى اليوم، لازالت تستعمل في طقس المعموديّة، صيغة إيمانّيّة سحيقة في القِدَم، أقدم من قانون الإيمان النّيقاوي القسطنطيني الذي تستعمله كلُّ الكنائس الأخرى.

٣- مخطوط رقم (عربي ٢٠٣) بالمكتبة الأهلّيّة بباريس، وهو كتاب مصباح الظّلمة وإيضاح الخدمة، لابن كبر، الباب ١٥

٤- ضدّ الهرطقات ٣:٤:٢

5- *The Prescription Against Heretics*, xiii.

6- *On the Trinity* I.

7- Dom Gregory Dix, *The Shape of The Liturgy*, London, 1982, p. 458.